12 me Année No. 596

Lundi - 4 - 12 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

١٠٦١ شعب مصر ... ... : الدكتور محمد مندور .
١٠٦٤ غرام يوم الثلاثاء ... : الدكتور زكي مبارك .
١٠٦٦ كتابة العربية بالحروف اللاتينية ... . : الدكتور داود الجلبي الموصلي
١٠٦٨ انجلترة في نظر سائح عربي : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
١٠٧٠ فرقة التمثيل ومديرها الفني : الأستاذ حبيب الزحلاوي ...
١٠٧١ الحياة الأدبية في السودان بين ماضيها وحاضرها : الأديب سعد الدين أ. فوزي
١٠٧٤ الذوق الأدبي العراقي .. : الدكتور مصطفى جواد . .
١٠٧٨ إلى أخي بفرنسا [قصيدة] : الأستاذ محمد برهام ... ..
١٠٧٨ مناجاة ... . : الأديب ابراهيم محمد نجا .
١٠٧٩ ١ — مالزكي مبارك وكتاب الله .. ٢ — إلى الأستاذ ابراهيم زكي الدين بدوي : الأستاذ محمد احمد الغمراوي
١٠٧٩ الأقوال وأصحاب الأقوال : الدكتور زكي مبارك ...
١٠٨٠ إلى الناقد سيد قطب .. : الأديب فوزي سليمان ...
١٠٨٠ إلى الأستاذ دريني خشبة : الأديب محمد العراقي ... ...

شعب مصر

للدكتور محمد مندور

لاقيت في هذا الأسبوع ثلاثة من مفكرينا : أحدهم وجها لوجه ، وبيدى مقال أستعرض فيه ما نشكوه اليوم من مظاهر الانهيار الأخلاقي ، وألتمس علاجاً لهذا الانهيار في إصلاح نظمنا السياسية والاجتماعية ، علماً مني بأن التربيـة وبث مبادئ الأخلاق في النفوس لا تكفي وحدها لتقويم النقص . ولقد أخذ محدثي على المقال ما فيه من قسوة ، وعنده أنه من الخطر أن نجسم للشعب مواضع ضعفه ، لأن ذلك التجسيم قد يزيده ضعفاً ، وإنه لأجدى على هذه الأمة أن نحاول رد الثقة إليها ، حتى ولو لم تكن تلك الثقة على أساس سليم ، وأما فضح العيوب ، فذلك ما لا ينبغي . وأضاف ، وهو من ذوى الأمر ، أنه كثيراً ما يتجاهل مواضع الضعف الأخلاقي فيمن يعملون معه ، ويردهم إلى الأخلاق ، وكأنه يستمدها من نفوسهم ذاتها ، فإذا نقل إليه أحدهم قيلة سوء ، فسرها على أنها قيلة خير ، محاولاً حمله على أن يكون إلى الخير قصده ، وعنده أن ذلك أجدى في معالجة النفوس من هتك ضعفها وأخذها بالقسوة

ساقني هذا الحديث إلى النظر في الحكم على الشعب المصري

ووجوب مواجهته بالحقائق أو سترها عنه ، واتفق أن قرأت في هذا الأسبوع كتابين لمؤرخين من رجالنا ، فلاقيتهما على صفحات ما كتبا ، ولمست عند كل منهما اتجاهاً في الحكم على الشعب المصرى يغاير اتجاه الآخر . فأما أولهما ، فقد استلفت نظارى حكمه في بعض مواقفه التاريخية ، حكماً لا يخلو من صرامة ، حتى لقد وقع في نفسى موقع السيف ، وخشيت أن يكون صحيحاً ، ولأضرب لذلك مثلين : الأول تفسيره لاستقرار الحكم وازدهار المدنية أيام الظاهر بيبرس وغيره من المماليك ، برغم ما كان في حكمهم من شدة وعسف بقوله تفسيراً لخضوع المصريين وعدم ثورتهم للحرية : « إن ثمن الحرية — كما يقول الإنجليز — هو الكدح والدأب والمراقبة ، ولما كانوا (أى المصريون) يكرهون النصب أكثر مما يحبون الحرية ، فقد عاشوا يستبد بأمرهم كل ذى همة وعزيمة » ؛ وفي قوله : « إنهم يكرهون النصب أكثر مما يحبون الحرية » ، ما يملأ النفس رهبة ، فتود لو لم يكن حقيقة . وفي موضع آخر يفسر نفس الكاتب سخط الشعب المصرى على الفرنسيين وثورتهم ضدهم أيام الحملة الفرنسية بمجرد حرصهم على ما ألفوه ... فقد رأوهم يقلقون عاداتهم ويزعزعون أساليب حياتهم الموروثة ، فيكرهونهم على نوع من الحياة لم يألفوه ، في مقاومة الأمراض ، وتنظيف الشوارع ، وما إلى ذلك ، فثاروا بهم ، وهذه أيضاً قسوة في الحكم ، لأن الكاتب لم يشأ أن ينسب إليهم ما نستشعره نحن اليوم من عاطفة وطنية ، أو تعلق بحرية وذود عن استقلال . وهذا منهج قد تمليه الروح العلمية التي تلزم المؤرخ بأن يحكم بعقلية من يكتب عنهم ، لا بعقليته هو ، ولكننى مع ذلك أخشى أن يكون مؤرخنا قد أسرف في القسوة وأسائل نفسى : هل من الحكمة ، بل هل من العدل ، أن نحكم على الشعب المصرى أحكاماً كهذه ؟ ونحن في مجال التاريخ نحرص على الحقيقة أكبر الحرص ، ولكن ما هى الحقيقة التاريخية ؟ وفي كل تاريخ نوعان من الحقائق : وقائع ، وتفسير لتلك الوقائع ؛ فأما الأولى ، فمن الواجب الوصول إليها بجمع الوثائق ونقدها ، وعلى العكس من ذلك تفسير تلك الوقائع ، فهذا ما لا تحمله الوثائق ، وإنما يصل إليه المؤرخ باستنتاجه الخاص ، وهنا يكون تفاوت المؤرخين ؛ وتدخل شخصياتهم بحيث نستطيع أن نناقش أحكامهم دون أن يكون في مناقشتنا خروج على المنهج العلمى السليم

وباستطاعتنا أن نناقش المؤرخ السابق بآراء الكاتب الآخر الذى لاقيناه يتحدث عن زعيم مصرى تركزت فيه يوماً نزعات شعبنا ، وهو السيد عمر مكرم . فمؤرخنا شديد الحماسة لتطلع هذا الشعب إلى الحرية منذ أوائل القرن الثامن عشر ، وهو يرى أن ظهور السيد عمر مكرم كان استمراراً وخاتمة لمحاولات عديدة قام بها زعماء الشعب المصرى الصميم المساهمة في الحكم ، وحمل الباب العالى على تعيين من يرتضونه والياً على مصر . وعنده أن سنة ١٨٠٧ هى التى وضعت حداً لتلك النزعة الشعبية ، وذلك لأن محمد على عاهل مصر الأكبر ، وإن كان قد وصل إلى الحكم عوجة شعبية قوية قادها السيد عمر مكرم ، إلا أن ضرورة الحكم ، وحرص هذا المصلح الكبير على أن يحث الخطى في النهوض بالبلاد ورفع مستوى الحضارة بها ، قد اضطراه لسوء الحظ إلى أن يرفض عرض السيد عمر مكرم في تلك السنة مساهمته هو والشعب المصرى في عونه على رد الإنجليز عن رشيد . والرأى عند مؤرخنا أن هذا الرفض قد أثر في تربية الشعب السياسية ، وباعد بينه وبين الاهتمام بأمور الدولة والمشاركة فيها نحواً من خمسة وسبعين عاماً ، أى من سنة ١٨٠٧ إلى ثورة عرابى ، وهنا أيضاً لا ندرى إلى أى حد قد بلغ عطف المؤلف على الشعب المصرى ، وإلى أى مدى قادته الرغبة في تمجيده ؟ !

ويقف المرء حائراً ... أى وجهة يوليها في حديثه عن هذا الشعب الذى نبنى كلنا خيره ؟ هل نمس في رفق عيوبه ، ونواريها عنه إلا بمقدار ، ليظل محتفظاً بثقته بنفسه ؟ أم نشق عنها الحجب ، ونلقى الضوء كاملاً لعله يثيب ؟ وإذا عالجنا ماضيه ، هل

تقسو فى الحكم ، أم نلين ؟ وهل نحابيه ، أم نزجره ؟

إذا لم يكن بد من أن نفصل فى هذه الاتجاهات العريضة ، وجب — فيما أظن — أن نفرق بين الحاضر والماضى : فأما الحاضر ، فالحكمة فى أن نحدد فيه البصر حتى لا يأخذنا غرور مميت . وباستطاعتنا أن نتجنب الخطر بألا نقف عند تصور العيوب ، بل نلتمس لها العلاج . وليس من شك فى أنك لن تستطيع حمل النفوس على قبول جديد وتغيير قديم ما لم تبصرهم بما فى هذا القديم من عيب . والأمم لا يمكن أن ترق ما لم يشتد بها النقد ، وفيم الرغبة فى التغيير إذا لم يؤمن الناس بضرورته ؟

وأما عن الماضى ، فلعلنا نكون أقرب إلى الروح العلمية الصحيحة كلما كانت نظرتنا أكثر عمقاً وأكبر اتساعاً . وآفة الأحكام فى تفسير الظواهر كثيراً ما تأتى من التعميم ، فالمصريون مثلاً إذا كانوا يكرهون التعصب ويؤثرون السلامة أكثر مما يحبون الحرية ، فإن ذلك لم يمنعهم عند ما يشتد بهم الاستبداد من أن يغامروا بسلامتهم مؤثرين الحرية على كراهة التعصب . وفى حركاتهم الثورية أيام الحملة الفرنسية وعرابى ودنشواى وسنة ١٩١٩ أدلة على صدق ذلك . وهم إذا كانوا بفطرتهم محافظين يكرهون الخروج على ما ألفوه فيثورون ، إلا أنه قد لا يخلو من ظلم أن نرد حركتهم كلها إلى هذا الباعث ، فهم إذا كانوا لم يتحركوا لفكرة الاستقلال الوطنى بحكم تبعيتهم المتصلة للدولة العلية وعدم نشوء فكرة الانفصال عندهم إذ ذاك ، إلا أن الشعور الدينى مثلاً كان لا ريب من الحوافز التى يجب أن تضاف إلى نزوعهم إلى المحافظة على ما ألفوه . وهاهوذا الجبرتى نفسه يحمد الله أن سخر طائفة من النصارى (الإنجليز) لطرد طائفة أخرى (الفرنسيين) من أرض الوطن ، وبذلك يتحقق — فيما يقول — قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وهل من شك فى أن الدافع الدينى كان من محركات سليمان الحلبى مثلاً فى قتله لكليبر . ثم هل من الحق أو من الحكمة أن نجعل من الشعور الوطنى عاطفة تنهض بذاتها منفصلة عن مصالح الأفراد الذين يكونون الوطن ؟ ونحن ممن يعتقدون أن الوطنية ليست شعوراً بذاته ، وإنما هى مجموعة من المشاعر يستند الكثير منها إلى مصالح الناس ووسائل حياتهم ، ولهذا لن نمل تكرار القول بأن الوطنية الحقة لن تملأ نفوس المواطنين إلا إذا أحس كل منهم أنه عزيز فى وطنه ، ميسور الرزق فى كرامة ، متمتع بحياة تليق بالإنسان . وإنما يظهر انفصال الشعور الوطنى عن غيره من المشاعر والمصالح عندما يحدث التعارض ، وهنا يكون للمؤرخ الحق فى أن يقسو فى أحكامه أو يلين ، وأما عند ما تتساوق مصالح الناس ومصالح الوطن ، فمن الظلم أن يأتى المؤرخ فيفسر الحركات الوطنية بالدافع الأول دون الثانى

ونجمل الرأى بأن الخير هو دائماً فى اتساع النظرة سواء نظرنا فى الحاضر أو فى الماضى ، فأى أمة لا يخلو ماضيها أو حاضرها من مواضع ضعف ومواضع قوة ؟ ومن الواجب إبراز الجميع ليكون فى إظهار الضعف حافز للكمال ، وفى إظهار القوة داع للثقة

محمد مندور

غرام يوم الثـــلاثاء

للدكتور زكي مبـارك

أخي الأستاذ الزيات :

إليك أقدم تحية الشـوق ، ثم أذكر أني أكتب هذه الكلمة ، وهي مقدمة القصيدة الآتية ، بعد المحادثة التليفونية التي دارت بيني وبينك منذ لحظات في صباح هذا اليوم ، وهو يوم عرفات ، أعاده الله عليّ وعليك بخير وعافية !

وقد اتفقنا على نشر هذه القصيدة بالرسالة في العدد المقبل ، لأستريح منها وتستريح مني ، فلو بقيتْ بين يديّ أياماً أخرى لقتلتني ، لأنها تقهرني على الغناء بعد نصف الليل ، وهو أصلح الأوقات للغناء ، ولكنه يُكدَّر بمحادثات تليفونية مزعجة ، فقد يحلو لكل ساهر أن يسأل عني بعد نصف الليل ، وكذلك الحال مع الساهرات ، فهنّ يزعجنني بلا ترفق ولا إشفاق

أنا أعرف أن قرائي يحبونني ، لأن أدبي يقوم على الصدق ، ولكني أرجوهم أن يترفقوا فلا يسألوا عني بعد نصف الليل

عفا الله وصفح عن أولئك الهاتفات بعد نصف الليل !

أترك هذا وأحدثك عن تاريخ هذه القصيدة ، فلها تاريخ وتواريخ

هذه القصيدة من وحي روح غالية ، هي الروح التي تلقيت عنها الدرس الممتع المشبع في شرح نظرية وحدة الوجود

ما أكرمَ دمي وما أسخاه حين أسمع صوتها الجميل !

أترك هذا أيضاً وأحدثك عن التاريخ الجديد لهذا القصيد :

رأى صديقٌ عزيز أن يغنيه الأستاذ محمد عبد الوهاب ، فقابلت صديقي عبد الوهاب في مكتبه بشارع توفيق

مَن يصدّق أن هذا الباكيَ الشاكي رجل أعمال ؟ !

قدّمت إليه القصيدة ومعنا الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، الذي وضع قانون اللغة العربية ، فنظر في القصيدة لحظات ، ثم اقترح تعديلات ، فما تلك التعديلات ؟

إنه اقترح أن أنوّع الأوزان ليلعب كما ألعب » وذلك نص كلامه بالحرف «

وكان الوجد في ثورته العاتية ، فرأيت أن أنوّع الأوزان ، ليلعب كما ألعب ، وما كنت يوماً من اللاعبين !

ثم خطر في البال أن أغني قصيدتي في محطة الإذاعة بصوتي ، وهو في رخامة صوت الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ولكنّ أبنائي اعترضوا ، فما يجوز عندهم أن يكون أبوهم من المغنين ، وهو يملك أكبر مجموعة من الألقاب العلمية

قلت لأبنائي : ألا تسمعونني أغني من حين إلى حين بقوة تنقل صوتي من الدور الثاني إلى أسماعكم بالدور الأول ؟

قالوا : نعمْ

قلت : أنا أغني أشعاري حين يجود بها الوحي ، فما الذي يمنع من تقديم صورة ناطقة يعرف بها الجمهور كيف أنظم أشعاري؟

قالوا : وأين الملحِّن ؟

قلت : أنا الملحِّن ، فالشعر شعري ، وأنا أعرف كيف ألحنه بالصورة التي تموّجتْ بها خفقات قلبي

لم يكن من السهل أن أقنع أبنائي ، وهل أقنعت نفسي حتى أقنع أبنائي ؟

إن جاز أن أغني هذه القصيدة في محطة الإذاعة ، فيجب أن أكون في حال تشابه حالي في الأوقات التي نظمت فيها هذه القصيدة

وهذا غير ممكن ، ففي الذيعين فريقٌ من تلاميذي ، ولم يرني أحدٌ من تلاميذي في لحظة بكاء

نظمت هذه القصيدة وأنا أبكي من الفرح ، وأصرخ من الفرح ، فما أنعم الله على شاعر بمثل ما أنعم عليّ بإقبال تلك الروح

من حق الحياة أن تصنع بأبنائها ما تريد ، فتُسعدهم أو تشقيهم كما تريد ، ولكنني فوق الحياة ، لأنني العاشق المسيطر على تلك الروح

ثم ماذا ؟

ثم أخبر صديقي صاحب « الرسالة » باعتراض الصديق محمد عبد الوهاب ، إنه يقترح ترك المكان والزمان ، فلا أقول « مصر الجديدة » ، ولا أقول « يوم الثلاثاء »

أنا أوافق على اقتراح هذا الصديق العزيز ، بشريطة واحدة هي أن يسمح بتزوير العواطف ، والغرام الذي أوحى هذه القصيدة

مكانه فى مصر الجديدة ، وزمانه فى أيام الثلاثاء

إن قراء « الرسالة » يذكرون أننى أول كاتب وجّه الأنظار إلى الفتن التى تُنثر نثراً فنيًّا فى شارع فؤاد

سأغنى بجمال بلادى ، سأغنى بجمالها إلى آخر الزمان

أما بعد ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إبداع هذه القصيدة « بمطبعة الرسالة » فى يوم الأربعاء ، لأستريح منها وتستريح منى ، فما لى قدرة على التفكير فى مصر الجديدة أيام الثلاثاء ، ولا أنا قادر على تصور غرامى بمصر الجديدة أيام الثلاثاء ، ولا أنا مستطيع نحر قلبي فى يوم عرفات

أنا بخير وعافية ، فلى مع هذه الروح فى ليلة عيد القمر ميعاد وسأغنى بحضرتها القصيدة الآتية فأقول :

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

وهنا أذكر أن الأستاذ عبد الوهاب اعترض على هذه الزفرة المحرقة :

يا ليل ، يا ليلَى ، يا ليل

وقال : سأترك هذه الكلمات عند الغناء

فقلت : ولكنى كنت أهتف بهذه الكلمات عند كل فاصلة من فواصل هذا القصيد ، فتأمل لحظة ثم قال : هى كلمات غير مفهومة ، ولكنها « شمهورش » ، وللجن وحىٌ يضلل الشعراء !

وأردت أن آخذ القصيدة لأردّها إليه فى حدود ما اقترح ، ولكنه قال : اترك لى هذه النسخة ، وعدّل النسخة التى عندك ، فستكون لى معاودات أصل فيها إلى سريرة قلبك فى اللحظات التى نظمتَ فيها ذلك القصيد

تاريخ لطيف

الصفحات الماضية كُتبتْ بالأمس ، وهو يوم عرفات ، والصفحات الآتية أكتبها فى مساء هذا اليوم ، وهو يوم العيد ، فما الذى وقع فى صباح هذا اليوم ؟

مضيت إلى قصر جلالة الملك لأقيد اسمي فى دفتر التشريفات ، وتلك فرصة ذهبية أرى فيها أصدقاء لا يتسع الوقت للسؤال عنهم فى يوم العيد

وراعنى أن أرى رجلاً يجذب يدى بعنف وهو يقول : قيد اسمك وتعال معى !

والتفتُّ فإذا هو الأستاذ وهيب دوس الذى تحدثت عنه فى مجلة « الرسالة » مرات ، ففرحتُ بلقائه وصحبته إلى حيث يريد ، وشاء كرمه أن ينقلنى بسيارته إلى سنتريس ، فكانت النتيجة أن يصحبنى إلى حيث أريد

وفى الطريق سألنى عما يشغلنى من الشؤون الأدبية فقلت : إنى مشغول بنظم قصيدة فصيحة على وزن الموّال

— وما الموجب لذلك ؟

— الموجب واضح فى نفسى ، وهو أن وزن الموال وزنٌ قديم عرفه المصريون قبل الإسلام بأزمان وأزمان ، ولهذا يغنّونه بسهولة عجيبة ، تشبه السهولة التى يغنى بها أهل الشام والعراق قصائد العرب القدماء

— وإذن ؟

— وإذن يجب أن ننظم الأغانى باللغة الفصيحة نظماً تأنس إليه الموسيقا المصرية ، فنجمع بين المزيتين ، ونتقى لذعات الأستاذ سليمان الصفوانى

— ومن هو الصفوانى ؟

— هو صديق عراقي عيّرنى فى مجلة بغدادية بأننا ندخل « لم » على الفعل الماضى فنقول :

« فى البحر لم فتكم فى البر فتونى »

وقد أجبت بأن « لم » تجعل المضارع ماضياً ، فدخولها على الماضى توكيد ، والجواب صحيح ، ولكن ما الذى كان يمنع من أن يقول صديقنا عبد الوهاب :

« فى البحر ما فتكم ... »

— وما هى خصائص هذه القصيدة ؟

— لها خصيصة أساسية ، وهى التحرر من مراعاة ما يسمى فى علم العروض بالإيطاء ، فاللفظة تقبل بكل ترحيب حين يوجبها المعنى ، فلن ألتزم ما التزمته فى قصيدتى عن الأسكندرية وقصيدتى عن مصر الجديدة ، وقصيدتى عن بغداد ، فكلمة « الساق » كررتها عامداً متعمداً لأنها مطلوبة فى القطعة الآتية :

شربتُ دمْعى فلا كأسٌ ولا ساقِ

كتابة العربيـــة بالحروف اللاتينية

للدكتور داود الجلبي الموصلي

فى المجلات والجرائد العربيـة ضجة فى هذه الأيام حول إصلاح الحروف العربية أثارها اقتراح معالى عبد العزيز فهمى باشا لتيسير كتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينية . قام كثير من الـكتاب يؤيدون صعوبة الخط العربي ونقائصه ولـكنهم يحجمون عن التوصية باستعمال الحروف اللاتينية ذاهبين مذاهب شتى كلها خاطئة فمنهم من يتوهم أن الحروف اللاتينيو تخل بالدين ، ومنهم من يعتقد أنها تهدم القومية وتضيع معها اللغة ، ومنهم من يرجح التمسك بالحروف العربية مع الاعتراف بنقائصها وصعوبة التعلم بها والتحريف والتصحيف اللذين ينشآن عنها ، يرجحون بقاءها لا لسبب إلا لـكونها قديمة . فهذه أوهام لاظل لها من الحقيقة . واقترح بعضهم ابقاء الحروف العربية مع شيء من التعديل ولم يأتوا بشيء تطمئن اليه النفس . ومن الغريب أن أحدهم اقترح الحاق خطيطات برؤوس الحروف للدلالة على الحركات ، ولـكنه لمَّا لم يطمئن هو نفسه إلى اقتراحه هذا اضطر إلى أن يوصى باستعمال هذه الإشارات فى المطابع فقط وإبقاء الخط باليد على ما هو عليه .

لقد لاحظت أن جميع من كتب عن الـكتابة العربية ذكر من نقائصها أولاً اختلاف أشـكالها حسب وقوعها فى أول الـكلمة أو وسطها أو نهايتها وحسب انفصالها أو اتصالها بما قبلها وبما بعدها ، وثانياً خلوها من حروف الحركة . ونسوا أو تناسوا تشابه كثير من حروفنا مع بعضها وعدم تفريقها إلا بالنقط كالبـاء والتاء والثاء والنون والياء ، وكالجيم والحاء والخاء ، وكالدال والذال ، وكالراء والزاى ، وكالسين والشين ، وكالصاد والضاد ، وكالعين والغين ، والفـاء والقاف مع تشابه هذين الأخيرين مع العين والغين فى أوساط الـكلمات إن هذا التشابه فى الحروف أوجب ، منذ وجدت الحروف العربية ، ولا يزال يوجب أتعاباً جمة لـكتَّاب العربية وأدبائها بسبب التصحيف الذى ينشأ عنه . إن الذين يعانون تدقيق وإصلاح الـكتب لتهيئتها للطبع يدركون أكثر من غيرهم الصعوبة الناجمة عن تشابه الحروف هذا وأستطيع القول إن جانباً من علم القراءات ما كان يكون له وجود لولا هـذا التشابه فى الحروف . وكذلك قل عن الاختلافات فى رواية وضبط بعض الأحاديث الشريفة

مضى نديمى وخـلاّنى لأشـواق
يا ساقِىَ الراح هات الدمعَ يا ساقي
دمعى هو الراح فاسقـينيه يا ساق
يا ساقىَ الدمع بعـد الراح يا ساق
دمعى دمٌ فترفّـق أيهـا الساق

— إذن نرجع

— إلى أين ؟

— إلى القاهرة ، وإلى دار أم كلثوم ، فهى القادرة على غناء هذا القصيد

— نروح اسكندرية !

— ما ذا تقول ؟

— كل طريق على غير هُدًى هو « نروح اسكندرية » كالذى وقع فى فيلم « يحيا الحب »

— لا أفهم ما تقول

— أنا أهديت هذه القصيدة إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب

— وأنا سأهديها إلى الآنسة أم كلثوم بإذنٍ صريح من الأستاذ محمد عبد الوهاب

* * *

رجعنا إلى القاهرة ، فـا لقينا أم كلثوم ولا عبد الوهاب ، فقد صمت التليفون هنا وهناك ، وأراد الأستاذ أن يدعونى للغداء فاعتذرت ، برغم ما سمعت عن فخامة المآدب التى يقيمها الأستاذ وهيب دوس

أنا لا أشكو إلا من جوع روحى

هل أنشر فى هذا العدد من الرسالة « غرام يوم الثلاثاء » ؟ الموعد فى العدد المقبل ، وإنه لقريب

زكى مبارك

وفى قراءة أسماء الأعلام وغيرها . إن زلة القلم قليلاً تجعل النقطة نقطتين ، وتقصيره قليلاً يجعل النقطتين نقطة . لا ننتظر اتقاناً وضبطاً فى قراءتنا وكتابتنا ولا سهولة فى تعلمها مالم نطرح هذه الحروف ونستعمل الحروف اللاتينية التى لا غنى لنا عن تعلمها وإن أبقينا على حروفنا لاحتياجنا إلى تعلم ألسنة الغربيين والاقتباس من علومهم ومعارفهم . فباتخاذنا حروفهم نكون قد وفرنا على أنفسنا تعلم نوعين من الحروف

وخلاصة القول إنى أؤيد معالى عبد العزيز فهمى باشا فى فكرة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، الفكرة التى بعثت على يده من جديد بعد أن كنت أول من نادى بها منذ ٣٧ سنة . فإنى كنت قد بثثت هذه الفكرة فى استنبول وطبعت فيها رسالة بالتركية أسميتها (إصلاح حروفه دائر) أوضحت فيها بإسهاب مصاعب التعلم والقراءة والكتابة بالحروف العربية والتصحيف والتحريف اللذين ينشآن من استعمالها وحثثت فيها الترك والعرب والإيرانيين على استعمال الحروف اللاتينية عوضها . وكان تاريخ طبع الرسالة المذكورة سنة ١٣٢٩هجرية ، أى قبل أن تستعمل الترك الحروف اللاتينية فى كتاباتهم بـ ١٨ سنة . وكانت بعض الجرائد المصرية قد تناقلت خبر اقتراحى ورسالتى فى حينه . ثم كنت قد دافعت عن رأيى هذا فى مقالتين نشرتهما فى جريدة العراق البغدادية سنة ١٩٢٨ وأتمنى الآن أن تروج هذه الفكرة فتقوم مصر وسوريا والعراق باستعمال الحروف اللاتينية فتقتدى بها سائر الأقطار العربية . فأهنئ معالى الباشا بقيامه بهذا المشروع

بيد أنى لا أرى من الموافق إدخال بعض الحروف العربية بين الحروف اللاتينية كالجيم أو الحاء أو الخاء أو الصاد أو الضاد أو غيرها بصورها الأصلية أو مقلوبة . وإنى كنت قد عالجت الحروف العربية التى لا نظير لها فى الأبجدية اللاتينية فى رسالتى السالفة الذكر . وإنى مرسل لمعالى الباشا نسخة منها لأجل الاطلاع . إن فى الألبانية حروفاً لا وجود لها فى اللاتينية كالثاء والجيم والذال اتخذوا لها حروفاً تنسجم مع الحروف اللاتينية . وفى اليونانية ثاء وخاء . وهناك الطريقة التى يستعملها المستشرقون فى ضبط الألفاظ العربية . وعند الروس والأرمن حروف تقابل بعض حروفنا التى لا نظير لها فى الأبجدية اللاتينية فيمكن أخذ بعضها بأشكالها من الروسية واتخاذ البعض الآخر من الأرمنية بتعديل طفيف . أما حشر حروف عربية بين الحروف اللاتينية فيكون بمثابة ترقيع ثوب برقع من غير جنسه . لأن أشكال الحروف العربية لا تنسجم مع الحروف اللاتينية . وعدا ذلك إننا إذا استعملنا حرف الحاء (ح) كما هو ووقع فى وسط كلمة واتصل بما قبله وبما بعده أخذ شكل حرف الراء (r) اللاتينى تماماً

إنى عالجت فى رسالتى بعض الحروف فى لساننا باعتبار كون أحدها يلفظ مرققاً يقابله آخر مثله يلفظ مفخماً . فما لاشك فيه أن الطاء تاء مفخمة . والضاد دال مفخمة . والظاء ذال مفخمة . وكذلك الحال مع الصاد والسين ، والقاف والكاف . ويمكننا بنوع من التقريب اعتبار العين همزة مفخمة ، والغين كافاً فارسية مفخمة . والحاء هاء مفخمة . فنستطيع الدلالة على الحروف المفخمة بإشارة للتفخيم يتفق عليها توضع على الحروف المرققة . وبذا نكون قد استغنينا عن اتخاذ أشكال لحروفنا المفخمة

هدانا الله جميعاً طريق الصواب ، وألهم أولى الأمر ومنهم أعضاء المجمع اللغوى لفؤاد الأول قبول هذه الفكرة المصيبة ، إنه هو الهادى .

الدكتور داود الجلبي الموصلي

من رحلات القرن الماضي

انجـــلترة

فى نظر سائح عربى

للأستاذ محمـــد عبد الغنى حسن

تختلف أساليب الرحالين والسياح فى كتبهم تبعاً لاختلاف أمزجتهم وطبائع نفوسهم . فمنهم المتزمت الوقور كابن جبير، ومنهم الناقد اللاذع كعبد اللطيف البغدادى – وخاصة حينما نزل مصر ورأى فيها ما لم يعجبه . ومنهم المحدث المتفضل بالحديث عن نفسه والدوران حول شخصه كابن بطوطة . ومنهم الذى يدرس الطبائع والظواهر كالمسعودى . ومنهم الدقيق الملاحظة المستفيد مما تقع عليه عينه ليقدمه إلى بلاده بعد عودته كالشيخ رفاعة الطهطاوى . ومنهم الذكى المتوقد الذى يتتبع كل أمر ، ويتقصى كل شىء ، وينظر إليه من وجهيه . ولا تفوته النكتة اللاذعة والفكاهة المرة – أو الحلوة – والنادرة المكشوفة ، والعبارة المفضوحة كأحمد فارس الشدياق صاحب مجلة الجوائب . والشدياق من رحالة العرب فى القرن التاسع عشر . وهو قرن اشتهر فيه منهم رفاعة الطهطاوى وأمين باشا فكرى وأحمد زكى باشا . ولكنهم على فضلهم لا يرتفعون إلى منزلة الرحالة الأولين من العرب .

ومن كتاب الرحلات فى القرن العشرين لبيب البتانونى بك فى رحلاته إلى الحجاز وأسبانيا وأمريكا الجنوبية . وأمين الريحانى فى رحلته إلى بلاد العرب . وأحمد حسنين باشا فى رحلته إلى صحراء ليبية . والدكتور عبد الوهاب عزام فى رحلاته إلى البلاد الشرقية ومحمد ثابت فى رحلاته المتعددة حول العالم ، وأحمد عطية الله فى رحلاته إلى أوربا وفؤاد صروف فى مشاهده فى العالم الجديد

ولكلٍّ واحد من هؤلاء سبيله فى الوصف ، إلا أنهم يشتركون جميعاً فى طابع الجد الذى يميز كتبهم

ولكن الشدياق غير هؤلاء جميعاً . فالمزح طبع أصيل فيه يشهد بذلك كتابه (الساق على الساق) . وهو كتاب لم يخل من مجون أخذه عليه أهل الفضل والنظر .

وللشدياق رحلتان : أولاها « الواسطة فى معرفة أحوال مالطة – وضعها سنة ١٨٣٤ » . وثانيتهما « كشف المخبا عن فنون أوربا – طبع سنة ١٨٥٤ »

وقد أعلن المؤلف فى مقدمة رحلتيه أنه يكتب عن حق ويروى عن صدق ، فلم يمل به هوى أو غرض إلى انحراف أو ميل . أو تفضيل قوم على قوم . وإنما يكتب بحسب ما ظهر له أنه الصواب

ولكن المتصفح لكتابه يرى فيه تحاملا وتجنياً . فهو متحامل على لندن . ولعل ضبابها ودخانها أثرا فى مزاجه ، وهو رجل مرهف الحس ، مرح كثير النقلة والحركة . فلم يعجبه محبسه فى بيت انجليزى هادىء أمام موقد يرمى باللهب . وآثر الانطلاق إلى بعض عواصم أوربا الموسومة بحياة خارج الدور لا تسجن بجدران ! ولا تثقل بوجوه دائمة من السكان .

وفى رحلة الشدياق إلى انجلترة من الحقائق والاحصاءات الدقائق والدرس الواسع ما لا يستهان به . وكان يسعفه فى ذلك الرجوع إلى الوثائق الرسمية . ومن هنا كان لكتابه قيمةٌ تاريخية ولمشاهداته قيمة من ناحية الاستقصاء ، وفيها كثير من الموازنة والظرف والفكاهة ، والسخرية اللاذعة التى لازمت الشيخ الأشيب حتى على بياض لمته ...

فالقرية الانجليزية الصامتة المتزمتة التى وصفها الشدياق هى هى التى نراها اليوم (ليس فيها مواضع للهو والحظ ، وإذا أرادوا اللهو عمدوا إلى أجراس الكنيسة يضربونها فتقوم عندهم مقام آلات الطرب) وذلك حق من الشدياق ؛ فالريف الانجليزى على جماله يخيم على قراه هدوء حزين لا يسر الطبائع المرحة التى تجد فى الحركة والصخب أنسا وراحة .

والشدياق يصف من الريف أرضه وسماءه وكل شىء فيهما ... حتى البقلة الناجمة والزهرة الحالمة ... ويوازن بين بقل وبقل ، وزهر وزهر . ويدرك الفرق بين أزهار مالطة وشبيهاتها فى فرنسة وانجلترة . ويصف حيوانه وصفاً دقيقاً . ولا تفوته النكتة فيقول (ومما من الله به على هذه البلاد

— يعني انجلترة — أن ليس فيها حيات ولا عقارب ولا سوام أبرص، ولا ابن آوى يعوى فى الليل، ولا نمس يأكل الدجاج ولا بعوض يمنع من النوم، ولا براغيث فى الربيع إلا نادرا)

والشدياق حين يلاحظ الأمور الجارية فى رحلاته يردها إلى علل معقولة طبيعية أو اجتماعية. فالانجليزى يتخطى السبعين ولا يخط الشيب رأسه ولا عارضه. على عكس ما هو حادث فى الشرق. ويرد ذلك إلى أن الشيب سببه الهم والخوف وتوقع المساءة من أولى الأمر وذلك معدوم فى انجلترة لفشو العدل بينهم واطمئنان الناس إلى حقوقهم

ويلاحظ رحالتنا العربى فرقا بين ملامح الرجل المدنى وأخيه القروى فى انجلترة. فالأول ضاحك السمات، مشرق البسمات. والثانى كثير العبوس قليل البشاشة لا يستخفه طرب ولا يستثيره لهو إلا فى القليل. ويرد رحالتنا ذلك إلى حياة اللهو فى المدن فينشأ الطفل على الطرب والخفة والبشاشة. أما القرية فقلَّ أن تجد فيها ملهى قائماً أو ملعباً دائماً.. ومن هنا نشأ أطفالهم على الجد والعبوس والتوقر

وعيب الشدياق فى رحلته كثرة الاستطراد. وذلك عائد إلى ازدحام المعانى والأفكار والمعرفة عليه. فهو يروى ويصف ما شاهد ويؤيد ذلك بواقعة حال أو عبارة من مقال. أو يذكر بيتاً من الشعر أو لطيفة من الأدب أو حكاية عن العرب. ثم يعود بعد لف طويل إلى موضوعه الأول

وهو خبير فى رحلاته بكل شيء. تراه عارفاً بالطعام، ذواقة لألوانه، خبيراً بأطايبه ناقداً لمعايبه... ولهذا لم يعجبه الطعام الانجليزى على بساطته

وتراه خبيراً بالنساء طبيباً لأدوائهن... دارساً لخباياتفوسهن. يعرفهن بالرمز والأشارة، كما يعرفهن بالقول والعبارة. ويقدِّر جمال المرأة أحسن تقدير... ويؤثر العين والفم فى وجه المرأة لأنهما يتحركان فيحركان الوجد ويثيران الشوق. ولا يذهب مع من قال (أحب منها الأنف والعينان) بل يذهب مع الراجز الآخر حيث يقول: يا ليت عيناها لنا وفاها ... !

وتذهب به ملاحظته بعيداً فيتتبع الكتاب والشعراء الانجليز فى وصف محاسن المرأة. ويلحظ الفرق بيننا وبينهم فى التشبيه والاستحسان. فهم لا يشبهون العيون بالسيوف كما يفعل شعراؤنا، ولا يشبهون المرأة بالشمس والقمر كما نفعل نحن. ولا يشبهون جيدها بجيد الغزال، وإنما يشبهون الجيد بالمرمر أو يقتصرون على وصفه بالبياض. ويشبهون المرأة بالنجم. ولا يستحسنون الفلج فى الأسنان كما نستحسنه نحن. ويستطرد إلى غسل النساء وجوههن بالصابون فينقله ذلك إلى أول من عمل الصابون. وإلى أول عهد استعماله فى لندن سنة ١٥٢٤، وإلى مقدار ما يستهلكه الانجليزى منه فى العام تبعاً لما وصل إلى علمه من احصاءات

ويصف تقدير المرأة الانجليزية للهدية وتعظيمها لها مهما قل شأنها وتفه أمرها. فلا تراها إلا مثنية على المهدى معترفة بحسن صنيعه. مبالغة فى وصف الهدية وتقديرها حتى يتوهم المهدى أنه صار رابعاً لحاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة من أجواد العراب ...

ولا يفوته وصف الفلاحة الانجليزية وهى تعمل فى الحقل؛ حتى ليشفق عليها من البرد بعض جسمها، ومن شمس الصيف تلوح وجهها.. ويأسف لهذا الجمال الذى ترخصه مزاولة الأعمال. وينحى باللائمة على الرجال الذين يحوجون المرأة إلى هذا الابتذال

ولو عاش الشدياق فى عصرنا هذا ورأى المرأة الانجليزية فى المصانع وفى لباس الجنود، وفى طبقات الجو وحُبُك السماء، ولو رآها تلعب دورها فى هذه الحرب الضارية فماذا كان يقول؟

ولكن النكتة لا تفوته فى هذا المقام فيضع شعرا فى الفلاحة الانجليزية يقول فيه:

فلو برزت سواعدهن يوماً   لشاعرنا لأنشد من ذهول
بربات الحقول يحق لى أن   أشبب لا بربات الحجول...

كما لا تفوته النكتة البديعية فيعمل جناساً بين الحقول والحجول

ويثنى الشدياق على المرأة الانجليزية كزوجة صالحة وربة بيت تدير شئونه وتصرف أموره على أحسن تدبير وأكمل تصريف. ويقرر (أن من تزوج بإحداهن فقد هنأه العيش وقرت عينه بما يراه من نظافة منزله مع الاقتصاد فى النفقة وراحة البال من الأسباب الباعثة على الغيرة)

ولقد قر هو نفسه عيناً بزوجة انجليزية صالحة إلا أنه لم ينجب منها. ولكنه أنجب من غيرها ثلاثة ذكور أكبرهم سليم الشدياق الذى ظفر بثقة السلطان عبدالحميد واحتل فى الآستانة مكانا رفيعاً.

محمد عبد الغنى حسن

فرقة التمثيل ومديرها الفني

للأستاذ حبيب الزحلاوي

لم نحمل على الفرقة القومية التي كان يرأسها الأستاذ الجليل خليل مطران بك كرهاً لها ، أو تقليلاً من قدر رئيسها الفاضل ، لأنه يستوي عند الأديب الغيور على فن المسرح أن تكون الإدارة بيد بكر أو خالد من الناس ، إنما حاربناها لتصدر مديرها إلى تحمل أعباء مسؤولية فنية أثقلت عاتقه ومهدت لذوي أغراض خسيسة إرضاء مطامعهم وشهواتهم على حساب فن المسرح . وأزعم أن لو استجاب الأستاذ مطران دعوات الداعين إلى إيجاد مدير فني يقظ الذهن يدرك غرض الحكومة من إنشاء الفرقة ، ويحرص على فن المسرح تأليفاً وتمثيلاً وإخراجاً ، لما حدث الانقلاب الذي نتج عنه تبديل في الإسم واستبقاء للفرض والوضع

فرحنا أيما فرح عند تأليف الفرقة المصرية للتمثيل ، وقد أسند مديرها الجديد إدارتها الفنية إلى الأستاذ زكي طليمات الفنان المتخصص ، واغتبطنا أيما اغتباط عند ما تألفت لجنة القراءة من رجال بعيدين البعد كله عن تزمت شيوخ لجنة القراءة السابقة وعنعناتهم ، تحدوهم غيرة على الفن وحب للأدب لا دخل فيه ولا تصنع . ووقفنا بعيداً ننتظر قطف ثمار هذا الانقلاب

كأني بالأستاذ زكي طليمات ساير الزمن في انقلاب أوضاعه وماشى حكاماً استهانوا بكل شيء وأقاموا من شهواتهم قوانين للطغيان والظلم والكسب ، فجنح هو أيضاً عن دستور الفرقة وقوانينها ، وهبط إلى مستوى الفرق الأهلية التي تراعي الربح المادي ولا تلتفت إلا إلى الفوائد المادية المعدودة بالمليم والقرش ، فصرنا نشاهد على مسرح الأوبرا الملكية تمثيل رواية « شهرزاد » و « يوم القيامة » و « سلك مقطوع » و « كانا كده » ... وما شاكل هذه التلفيقات البهلوانية والتهريج الرخيص

بودي لو تسمح لي أعمالي الخاصة بالوقوف عند كل رواية من هذه الروايات التي لا تشرف أحط الفرق الجوالة لو مثلتها في ساحة عامة على مشهد من السوقة والدهماء ، وإني لأعجب والله كيف يباح لفرقة حكومية تعيش من أموال الدولة أن تقول عن أبناء الأمة إنهم كلهم ديوث وقواد وعكروت (وكلنا كده) ؟ !

أفهم أن يعمد مؤلف إلى إبراز أشنع الصور الأخلاقية والاجتماعية ، ويمعن في التهويل وفي تزييف هذه الصور إلى حد يجعلها بغيضة مكروهة من كل النفوس ، حتى نفوس الأشرار والمستهزئين ، أما الذي لا يمكن فهمه ولا تسوغه سوى عقلية المدير الفني للفرقة الحكومية أن يقال للأمة « كلنا كده » !

ناهيك بالانحراف عن الكلام الفصيح ، والتزام اللهجة العامية وتعابيرها النابية ، والتنكيت البارد ، والحركات السمجة ، والزار ، وضرب الطار ، وهز البطن والأرداف ، « والتشلبق البلدي » في رواية « يوم القيامة » ، وقد كان ضحيتها ممثل بارع افتديه « بمعهد فن التمثيل » هو الممثل المقتدر عباس فارس ، وقد اختاره زكي طليمات المدير الفني لأن يكون ذبيحة تلك الرواية ومهرجاً فيها ... فياخيبة الفن !

وهكذا فعل أيضاً ، فقد سخر أحمد علام وحسين رياض لأن يكونا مهرجين في رواية « سلك مقطوع » ، ولم يسخرهما اعتباطاً ، بل لغرض كامن في قرارة نفسه . ولم يخترهما لرواية « يوليوس قيصر » ، بل تحايل بالمرض على تقديم فساكل من الممثلين المبتدئين ليمثلوا دوريهما ، فكانوا على المسرح كالغراب صوتاً ومشية ...

لا تخلو تصرفات المدير الفني في توزيع أدوار الرواية من الغرض ، هذا إذا لم أقل مع الممثلين إنه يتعمده تعمداً ، فقد شاهدت تمثيل رواية « الوطن »

وقد كانت بطلة تلك الرواية ممثلة لا أعرف اسمها ، ولكني أذكر قصر قامتها ، وشلل أوتار وجهها الذي لا يعبر عن شيء ، وثقل حركتها ، وعجز حنجرتها عن تلوين صوتها لعلة في مخارجه !

ألمثل هذه الممثلة الباردة يسند تمثيل رواية عنيفة ، متعددة المواقف ، متنوعة التلوين والانفعالات ؟ ؟

الحياة الأدبية في السودان
بين ماضيها وحاضرها
للأديب سعد الدين .أ. فوزى

لا أريد أن أطوى القرون القهقرى ، لأتكلم عن النهضة الأدبية فى السودان القديم الذى عاصر الفراعين فى مصر ، والبابليين والأشوريين فى العراق . ولا أريد كذلك أن أقتصر على النهضة الأدبية الناشئة الآن ، ولكنى أحب أن أقدم عرضاً موجزاً للحياة الأدبية فى السودان العربى

عند ما انتصر العباسيون تفرق الأمويون فى بلاد الله ، فنزل فريق منهم الأندلس وأسس بها مملكته الشماء ، وجاء فريق إلى جنوب السودان وهبط سنار بين النيلين الأزرق والأبيض ، حيث وجد موجات عربية أخرى قد سبقته ما بين القرنين السادس والثالث عشر الميلاديين إلى تلك الربوع ، وهناك امتزج بالسكان الأصليين وتزوج معهم وتناسل ، على أشهر الروايات ، وأسس صرح مملكة عظيمة تسمى بالسلطنة الزرقاء أو مملكة الفونج ، امتدت شهرتها حتى وصلت إلى القسطنطينية واتسعت حدودها حتى البحر الأحمر وأطراف الحبشة وحدود دارفور

وقد اشتهر ملوك سنار بما جبلوا عليه من الشيم العربية ، من الكرم والشهامة وحب الثناء ، فكان الشعراء يفدون عليهم من مصر ومن سائر البلاد العربية ، فينظمون فيهم عقود الثناء ، وينضدون فيهم قلائد المدح ؛ ولكن الطابع الأصيل للنهضة الأدبية فى رعاية ملوك سنار كان دينياً بحتاً ، فكان للعلوم الفقهية المقام الأول ، فى الدراسة والتحصيل ، وفى البحث والتنقيب . ولم تقتصر همة ملوك الفونج على رعاية العلماء فى داخل حدودهم ، بل كانت لهم صلات وثيقة بأفاضل العلماء فى مصر ،

لا ألوم تلك الممثلة المسكينة ، وأعتذر إليها من وصفى موقفها ذاك ، إنما ألوم الذى أثقل كاهلها بحمل لا تطيقه طبيعتها بزعم خاطئ وتقدير معكوس فى أنه يرفعها إلى مصاف كبار الممثلات ، وإذا به يدفعها إلى الهاوية التى لا تستأهلها

لا يعني كلامى أن هذه الممثلة لا تتقن فن التمثيل ، فقد تصلح ولا ريب لأدوار أخرى ، إنما أعنى أن المدير الفنى أساء الاختيار كعادته فى التحكم بالممثلين والتسيطر على الممثلات

بودى لو أقف طويلاً حيال كل رواية أخرجها الأستاذ طليمات لأقارنها بروايات أخرجها الأستاذ فتوح نشاطى ، وبذلك يتبين له البون الشاسع والفرق الظاهر بين المجتهد الدؤوب ، وبين القاعد المتقاعس

وسأفعل ذلك إذا توفر لى الوقت ، وسأتكلم عن المواقف الفنية وعن فعال العنصر النسائى فى الفرقة ، وسأخصص درساً لروايتى « قطر الندى » و « شارع البهلوان »

والآن أسأل : ماذا أفاد الأستاذ زكي طليمات الفرقة المصرية للتمثيل ، وبما ذا أساء إليها بكونه مديرها الفنى ؟

لقد أفاد الفن كثيراً ، وسأذكر هذه الفوائد بالتفصيل فى الحين المناسب ، ولكن هذه الفوائد على كثرتها أقل كثيراً من إساءاته ، ولا أحصى منها إلا ما يأتى :

١ — أساء إلى الحكومة فى تمطيله قانون الفرقة بإدخاله اللهجة العامية وجعلها تطغى على اللغة الفصحى

٢ — أساء إلى الحكومة فى إنفاق خمسة عشر ألفا من الجنيهات من أموال الدولة على « تكية » ممثلين نفعوا ذواتهم ولم يحسنوا إلى الأمة ، وكان فى وسعهم نفعها لو توفر لهم مدير فنى يعمل للفن بدافع من الغيرة على الفن والاعتزاز بأمته

٣ — أساء إلى الحكومة التى وكلت شئون التمثيل إلى جماعة توهمت فيهم المقدرة دون أن تقيم رقباء عليهم ، فجعلوا الفرقة مطية للأهواء والشهوات

٤ — أساء إلى النهضة الأدبية وإلى سمعة مصر فى البلاد العربية

٥ — أساء إلى نفسه وقد عرضها للوقوف أمام لجنة التحقيق — على حد ما ذكرت الصحف — عما نسب إليه من أمور لا شأن لى بذكرها

وإنه لمن المدهش حقاً أن تقف لجنة القراءة — وأعضاؤها من ذكرت — هذا الموقف المهين اللين من مدير الفرقة الفني ، وهى تعلم أن مآلها مرتبط بسقطاته الفنية وغير الفنية ، وقد يزول العجب متى أمطنا اللثام عن بعض أسباب ذلك الموقف وموعدنا قريب

حبيب الزحلاوى

ورجالات الأزهر المعمور . ومن أشهر هؤلاء الملوك الملك بادى أبو ذقن ؛ كان يرسل الهـدايا والهبات إلى رجال العلم فى الوادى الشمالى حتى مدحه الـكثيرون بقصائد رنانة — أورد منها شقير بك فى كتابه « تاريخ السودان » أبياتاً للشيخ عمر المغربى قال فيها :

أيا راكبا يسرى على متن ضامر
إلى صاحب العلياء والجـود والبر
وينهض من مصر وشاطىء نيلها
وأزهرها المعمور بالعـلم والذكر
لك الخير إن وافيت سنار قف بها
وقوف محب وانتهز فرصة الدهر
إلى حضرة السلطان والملك الذى
حمى بيضة الإسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادى الذى له
مدائح قد جلت عن العد والحصر
سليل ملوك الفونج والسادة الألى
علا مجدهم فوق السماكين والنسر

وظلت هذه الصلات وثيقة العرى حميدة الأثر حتى ضعفت دولة الفونج وصار الأمر فيها إلى مواليها من « الهمج » . وكان القرآن هو الدعامة الكبرى للتعليم فى ذلك الوقت ، تخصص على درسه وتدريسه فقهاء أجلاء من علماء الأزهر وعلماء السودان

ومن أشهر هؤلاء فى ذلك العهد ، الشيخ ادريس بن محمد الأرباب ، اشتهر بالفضل والتقوى ، حتى لقب بسيد الأولياء ، وكانت له ولأحفاده من المكانة عند ملوك سنار ما جعلهم ملجأ المستغيث ومأمن الخائف . واشتهر بعده الشيخ حسن بن حسونة الذى جاء أبوه من الأندلس ، فسكن « كركوج » على النيل الأزرق ، واشتهر بالصلاح والتقوى . وفى هذا العهد أيضاً رحّب السودان بعلماء كثيرين وردوا ساحته من سائر البلاد العربية ، كالشيخ تاج الدين البهارى الذى جاء من بغـداد ، والشيخ ابراهيم بن جابر البولادى من مصر ، والشيخ محمد المركى من مصر أيضاً . وفى المخطوط التاريخى الذى يعرف عند مؤرخى السودان « بطبقات ولد ضيف الله » ذكر الـكاتب نيفاً وتسعين من رجال العلم والدين فى ذلك العهد فى مختلف أنحاء السودان لا داعى لاستعراضهم جميعاً

أما الـكتابة الفنية الخالصـة والشعر الوجدانى المشبوب فما كانا غرضاً من أغراض الكتاب فى دولة الفونج ، إذا استثنينا الشعر الشعبى الذى لا يتقيد بالفصحى ، والذى يُعرف عندنا « بالدوبيت » وإنما كانت الكتابة وسيلة لمدح ، أو رداً على رسالة أو تهديداً لخصم ، وكان عمادها الجملة القرآنية ، والاقتباس من الأحاديث النبوية ، مع التزام السجع ، وتقطيع الكلام إلى فقر قصيرة . وإليكم مثلا الرسالة التى رد بها السلطان محمد عدلان على اسماعيل بن محمد على قائد الجيش المصرى الفاتح عند ما طلب منه التسليم . قال :

« لا يغرنك انتصارك على الجعليين والشايقية ، فنحن الملوك وهم الرعية ، أما بلغك أن سنار محروسة محمية ، بصوارم قواطع هندية ، وجنود جرد أدهمية ، ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية ؟ »

وكانت الحياة الأدبية فى مملكة دارفور المعاصرة لمملكة سنار الآنفة الذكر ، والواقعة فى غرب السودان مماثلة لما تقدم وصفه : حركة دينية عمادها القرآن والحديث والمذاهب ، وأشعار مصطنعة فى مدح الملوك والسلاطين ، والفخر والحماسة ، وتعليم أساسه الدين يبذل فى المساجد وبيوت القرآن

ثم دالت مملكتا سنار ودارفور العربيتان ، واستتب الحكم المصرى فى السودان سنة ١٨٢١ ميلادية ، فاستمرت شعلة الاسلام متقدة وكثرت الطرق الصوفية فى طول البلاد وعرضها وصار لأربابها من النفوذ ما يدانى نفوذ السلطة ، وانتشر علماء السودان الواردون من الأزهر فى أنحاء البلاد ، وازدحم الطلاب على أبواب كبارهم كالشيخ القرشى والشيخ محمد الشريف من زعماء الطريقة السمانية الكبار

وقد نشر المصريون فى السودان عدداً من المدارس الأولية ، وأنشأوا مدرسة وسطى بالخرطوم بنظارة الشيخ رفاعة بك الطهطاوى ، وشمل خديوى مصر المساجد برعايتهم فأجروا أجور الأئمة ، وقاموا بإصلاح الكثير منها ، ولكن مما يؤسف له أن الشطر الأكبر من هذه الجهود ما زال مطوياً عن الجمهور

فى الوثائق الرسمية ، ولم يصل بعد إلى آذان الجمهور فى مصر والسودان . بيد أن سوق الأدب كسدت فى أواخر الحكم المصرى لاضطراب الحالة السياسية وضعف الأداريين واستبداد الجباة .

وكان النثر على نوعين فى هذه الفترة : لغة الدواوين التى تكتب بها التقارير وتصدر الأوامر وكانت مهلهلة لا ترمى إلى غير الأداء . ولغة العلماء والفقهاء التى ظلت تحتذى أسلوب القرآن وتسرف فى تضمين آياته وأحاديث الرسول ، ومن أشهر علماء هذه الفترة الفقيه السنوسى بقادى ، والفقيه محمد الحاج الطيب إمام جامع الخرطوم فى ذلك الحين ، والفقيه محمد على ولد العباس ، والشيخ الطريفى بن الشيخ يوسف ، والشيخ حسن ولد بان النقاب وكثيرون غيرهم .

وعند ما انتهى الحكم المصرى على يدى الثورة المهدية ازدادت شعلة الدين توهجاً ، وامتزجت السلطة المدنية بالسلطة الدينية تماماً . وكان المهدى رجلاً متفقهاً فى الدين متمسكا بالكتاب والسنة ، وكان على ذلك بليغاً سيال العبارة سلس الأسلوب ، وقد عمل مخلصاً على نشر الدين وبث العلوم القرآنية . وكان إذا ما صلى صلت الأمة كلها وراءه ، وكان إذا ما جاهد اندفع الجميع تحت لوائه . ولعل فى النبذ الآتية من خطبه ومنشوراته مايوضح ما نحن بصدده من تحليل النثر فى ذلك العهد

قال المهدى فى رسالة له : « قد اجتمع السلف والخلف فى تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه وتعالى لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب . قال تعالى : « لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء » و « عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » و « لا يسأل عما يفعل » و « يخلق مايشاء ويختار» . وإليكم نص البيعة التى بايعه عليها أنصاره الكرام « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم ، أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله ، وألا نشرك به أحداً ، ولا نسرق ولا نزنى ، ولا نأتى ببهتان ، ولا نعصيك فى معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها ، والرضى بما عند الله رغبة فيما عند الله والدار الآخرة وعلى ألا نفر من الجهاد »

وكان للمهدى شعراء أفذاذ ، نذكر منهم الشيخ عمر البناء ، فقد كان شاعراً بليغاً قوى الديباجة ، رصين المعانى ، له قصائد مشهورة أذيعها

الحرب صبر واللقاء ثبات   والموت فى شأن الإله حياة

ولولا ضيق المقام لأوردنا الشىء الكثير غيرها . والشعر فى ذلك الحين كان يقوم مقام الخطابة عند العرب ؛ مدح المهدى وتشجيع لأنصاره وحملة على أعدائه — ومن ثم كانت دائرته محدودة ، ونظرته ضيقة

ثم انقضت المهدية وجاءت الحكومة الحاضرة ، واتصل أدباء السودان وشعراؤه بالعالم العربى الحديث فنشأت مدرستان فى الأدب : قدماء ومحدثون

أما المدرسة الأولى فنهلت من مناهل الأدب العربى القديم ، ورشفت على وجه خاص من موارد العباسيين ، وعاصرت شوقى وحافظ عند المصريين

وأما المدرسة الثانية فتأثرت بالأدب المصرى الحديث أول ماتأثرت ثم تشربت روح الآداب الغربية ، واهتزت لشعراء وأدباء المهجر

وفى طليعة الأوائل الشيخ عبد الله عمر البناء والأساتذة أحمد محمد صالح ، وصالح عبد القادر

وفى طليعة الأواخر : للتيجانى يوسف بشير ومحمد عثمان محجوب والرضى محمد خير ويوسف التنى

أما النثر فقد تطامن منتنه لأدباء السودان ، ولا داعى للأفاضة فيه ، فهو لا يتميز عن النثر الحديث فى العالم العربى ، وإنما يجرى فى ركابه مع الاختلافات اليسيرة التى تميز أسلوب كاتب عن كاتب وشاعر عن شاعر

وقد اعتاد أدباء السودان وشعراؤه أن يقيموا مهرجاناً أدبياً كل عام يعرضون فيه ثمرات أفكارهم وروائع أشعارهم . وقد أقيم هذا المهرجان فى ثانى يوم عيد الأضحى

وإذا ما قدر لإنتاج السودانيين فى القريب بإذن الله ، أن يجد طريقة إلى المطبعة فسيرى القراء الكرام مدى ما وصلنا اليه فى عالم الفكر والأدب ، ويحكمون بأنفسهم على ذلك الانتاج

بخت الرضا — سودان   سعد الدين . أ . قونة

الذوق الأدبي العراقي

للدكتور مصطفى جواد

للأدب العراقي سمة واضحة وخصائص لائحة ومزايا مشهورة ومقام شريف ، ولكل صقع من الأصقاع تأثير في سكانه تحدثه الوراثة والأرض والماء والهواء . وإن سلّمنا نحن هذه الحقيقة فإنا لا نغلو فيها فنقول قول فيكتور كوزان[1] العلامة الفيلسوف الفرنسي : « صفوا لي بلاد قوم أذكرْ لكم تاريخهم » ولقد علم علماء العرب القدماء هذه المعرفة وأسلافهم سبقوهم إليها ، حتى ذكر ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب ، حين فتح الله البلاد على العرب كتب إلى حكيم من حكماء العصر : « إنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار فصِف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها[2] » . فهذا الخبر — إن كان صحيحاً — يدل على تفطن العرب لأثر المسكون في الساكن منذ أول العهود الإسلامية ؛ وإن كان موضوعاً فإنه لا يخلو من كون هذا الرأي قديماً تزيد قدمه على ألف سنة

ودونك اسم باب من أبواب أحد الكتب القديمة « لُمع من ذكر الأرض وشكلها وما يغلب عليها وتأثيراتها في سكانها وما اتصل بذلك والأهوية وتأثيراتها[3] » . والعراق في صفة الأرض القديمة معدود من أقليم بابل ، وفي نعته يقول أحد سكانه : « وأما العراق فمنار الشرق وسرّة الأرض وقلبها ، إليه تحادرت المياه ، وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، فصفت أمزجة أهله ، ولطفت أذهانهم ، واحتدت خواطرهم ، واتصلت مسرّاتهم فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم ... وفضائل العراق كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته وإغداق الماء عليه ورفاهية العيش به ... كانت الأوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لأن أرضه من إقليم بابلَ الذي تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الأمور ، كما يقع ذلك عن القلب ، وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم .. وكما اعتدلوا في الجبلة

(١) Victor Cousin « ١٧٩٢ — ١٨٦٧م »

(٢) أبو الحسن المسعودي في « مروج الذهب ج ١ ص ٢٧٢ وما يليها » من طبعة مصر

(٣) أبو الحسن المسعودي أيضاً في « التنبيه والأشراف ص ٤ من طبعة مصر »

كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الأمور[1] » . فكل هذه المأثورات الدالة على أن للترب والأهوية والماء تأثيرات في السكان ، كتبت في أواسط القرن الرابع للهجرة . ومما يؤيد اختصاص العراق بخصائصه الإقليمية مؤثرة في ثقافة سكانه ومعايشهم وأخلاقهم ما ذكره سائح يسمى " بلنسي " ورد بغداد سنة « ٥٨٠ » هـ والدولة العباسية في عزها وفخامتها وزمن عظمتها من حيث العدل والتدبير والسياسة والاستقلال والسعادة والنظم والرسوم ، قال : « وكنا نحس من هواء بغداد يُنبت السرور في القلب ويبعث النفس دائماً على الانبساط والأنس ، فلا تكاد تجد فيها إلا جذلان طربا وإن كان نازح الدار مغتربا حتى حللنا بهذا الموضع ... وهو على مرحلة من بغداد . فلما نفحتنا نوافح هوائها ، ونقعنا الغلة ببرد مائها ، أحسسنا من نفوسنا — على حالة وحشة الاغتراب — دواعي الطرب ، واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالإياب ، وهبت محركات من الأطراب ، أذكرتنا معاهد الأحباب في ريعان الشباب ، هذا للغريب النازح الوطن ، فكيف للوافد فيها على أهل وسكن :

سقى الله باب[2] الطاق صوب غمامة
وردَّ إلى الأوطان كل غريب

* * *

والذوق الأدبي هو إدراك محاسن الأديب ومعرفة دقائقه ولطائفه ونكاته ، وهو للأديب ملكة تأسيس على مقاييس المحاسن الأدبية ، وللقارئ الأدبي هو ملكة تمييز واستذاقة ، وامتلاك هاتين الملكتين قائم على الدراسة والزمان والذهن ، وبالذوق الأدبي يستطيع الإنسان قدر اللطائف الأدبية حق قدرها ، وتعرُّفَ الحكمة وإحساس أدب الجيل ولمح التأثيرات الأدبية في النفوس ، وتمييز المستحسن من المستكرَه من الأدب بالإضافة[3] إلى ذوي الأكثرية من أهل الأدب ، ومعرفة ما يلائم الطباع من الآثار الأدبية ، والغوصَ على النكات

(١) المرجع المذكور « ص ٢٧١ »

(٢) باب الطاق ، في بغداد القديمة ، كانت محلة كبيرة بالجانب الشرقي ، والطاق هو طاق أسماء ، وكانت المحلة من أحسن الخطط القديمة بين الرصافة (مدفن الملك فيصل الأول وما حوله في أيامنا) ونهر المعلى (بغداد الشرقية في عهدنا) وكان الطاق عظيما في دار كبيرة وكان عنده مجلس الشعراء في أيام الرشيد ، ومحلة باب الطاق اليوم ما بين كرادة المعظم وجنوبي مدفن الملك فيصل الأول وقد نسي الاسم

(٣) بالاضافة إلى كذا ، معناه « بالنسبة إليه والقياس إليه » ويستعمله المترجمون بمعنى « مضافا إلى كذا » وذلك خطأ عظيم

والدقائق وعلم سُبُل الشعور المستقيمة ، فمحروم الذوق الأدبي لا يدرك مثلا قول امرىء القيس :

مكرّ مفرّ مقبـل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

ولا يعلم أن المراد به « معاً » هو أن الكر والفر والإقبال مجتمعة فى قوة الفرس لا فى فعله المقترن بالزمان ، وذلك لأن المشتقات فى العربية هى للنعوت والأوصاف لا للأفعال والأحداث ، ولأن « معاً » للمصاحبة المطلقة ، لا للزمان البحت ، فلذلك يقال : « جاءنا مع العصر » بجعله مصاحباً للعصر فى المجىء . ومن حرم القياس عدم الإحساس

أجل تضافرت الآثار والأخبار على أن الذوق الأدبي العراقى حكيم بارع كريم ، ألا ترى أن أبا على محمد بن اسماعيل القاضى الطوسى ، قاضى طوس المتوفى سنة « ٤٥٩هـ » كان يلقب بالعراقى لظرافته وطول مقامه ببغداد[١] ، وما نشك فى أن الظرافة العراقية هى سبب التلقيب وإن كان لقبه « البغدادى » لا العراقى لأنه أطال الإقامة ببغداد . وروى الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى المتوفى سنة « ٣٨٤ » أن محمد بن أبى العتاهية قال : « أنشدت أبى أبا العتاهية شعراً من شعرى ، فقال لى : أخرج إلى الشأم ، قلت : لِمَ ؟ قال : لأنك لست من شعراء العراق ، أنت ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم[٢] » وقال العلامة أحمد بن محمد الفيلسوف المؤرخ الملقب بمسكويه : « إذا أنصفنا التزمنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف، والمأخذ القريب، والسجع الملائم واللفظ الموفق والتأليف الحلو والبسوطة الغالبة ، والموالاة المقبولة فى السمع ، الخالبة للقلب ، العابثة بالروح ، الزائدة فى العقل المشملة للقريحة ، الموقوفة على فضل الأدب الدالة على غزارة المغترف ، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف[٣] » وقال أبو حيان ينعى على الصاحب بن عباد أسلوبه : « وطباع الجبلى تخالف لطباع العراق ، يثب مقارباً فيقع بعيداً ، ويتطاول صاعداً فيتقاعس قعيداً[٤] »

والظاهر هو أن ظروف أهل العراق فى الأخلاق والأدب أصبح فى العصور الإسلامية كالحقائق المجمع عليها المتخذة مقاييس وعبراً ؛ فهذا أبو منصور عبد الملك الثعالبي يقول فى نعت أدب أبى العباس محمد ابراهيم الباخرزى الكاتب إنه كتب اليه بيتين ، فأجابه الباخرزى بأبيات منها :

استودع الله الحفيظ حبيبا يحكى إذا نظم القريض حبيبا
متطبعاً طبع الشآم مبرزا مقدرعاً ظرف العراق أديبا[١]

وإذ لم يكن بد من التخصيص المؤدى إلى الاختصاص نذكر أن جماعة من الأدباء خصصوا أكثر الظرف العراق والإبداع الأدبي بدجلة — أعنى سكان بلادها — ومن ذلك ما قاله أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى يصف أدب أبى القاسم عبد الواحد[٢] ابن المطرز الشاعر البغدادى بعد إيراده له هذه الأبيات :

عسى طيف الأحبة بالنعيم يلم بنا على العهد القديم
أرقت له أماطل فيه هماً يلازمني ملازمة الغريم
لعل خيال ذات الخال يسرى فينقع غلة النضو السقيم
وكيف ينام عشق تغلبي تؤرقه ظباء بنى تميم ؟

قال : « هذا لعمرى الشعر الذى ورد دجلة فارتوى من زلالها ، وروّح بشمال بغداد فرفل فى سربالها ، واستفاد الصحة من اعتلالها[٣] » ولقد حكى الباخرزى فى هذا الوصف عن شعور شعرىّ وإحساس أحسه ولون أدب ارتوى من غيره العذب ، حتى امتلأ منه . وتفصيل ذلك أنه لما ورد بغداد مدح الإمام القائم بأمر الله الخليفة العباسى ، بقصيدة صدّر بها ديوانه منها :

عشنا إلى أن رأينا فى الهوى عجباً
كل الشهور وفى الأمثال عش رجبا
أليس من عجب أنى ضحى ارتحلوا
أوقدتُ من ماء دمعى فى الحشا لهبا ؟
وأن أجفان عينى أمطرت ورقا
وأن ساحة خدى أنبتت ذهبا ؟
وإن تلهّبَ برق من جوانبهم
توقد الشوق من جنبيَّ والتهبا

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى في « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٨ ص ٢٤٧ »
(٢) الموشح ص ٣٧٥
(٣) هذا قول عزاه إليه أبو حيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٦٤
(٤) المرجع المذكور ص ٦٢

(١) تتمة اليتيمة ج ٢ ص ٣٦
(٢) هكذا ورد اسمه في النسخة المطبوعة ص ٧٩ وفى إحدى النسخ المخطوطة « دار الكتب الوطنية بباريس مخط رقم ٣٣١٣ ورق ٦٦ » وللدمية نسختان أخريان بباريس أرقامهما « ٥٩٢٦ و ٥٢٠٢ » وسماه الثعالبي فى تتمة اليتيمة « عبد الرحمن » ج ١ ص ٥٢ »
(٣) الدمية ص ٨٠

فاستهجن البغداديون شعره وقالوا : « فيه برودة العجم » فانتقل الباخرزي إلى الكرخ(١) وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدة وتخلق بأخلاقهم واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدته التي أولها :

هبّت عليّ صبا تكاد تقول : إني إليك من الحبيب رسول
سكرى تجشمت الرُبا لتزورني من علتي وهبوبها تعليل

فاستحسنها البغادّة وقالوا : تغير شعره ورق طبعه (٢) » .

ولا يفوتك الأديب يلمح هذه الإشارات ويقرأ أمثال تلك العبارات ويستحيل هذه الحال في كثير من الكتب الأدبية ، وتراجم الأدباء ، فالثعالبي لم يومئ إلى ذلك في موضع واحد — أعني الموضع الذي أثرنا خبره — وإنما قال أيضاً في ترجمة أبي الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي : « وله شعر الأديب الظريف الذي شرب ماء دجلة وتغذى بنسيم العراق(٣) » ونحن لا نرى حقاً تسمية الخروج عن الأسلوب العراقي أو الأسلوب البغدادي خاصة « برودة » وإنما هو « أثر الانتقال » و « أمارات العبور » من الفارسية إلى العربية ، فالمؤاخذة أكثر ما تكون في « الأسلوب » ولا يستطيع الفارسي وإن بلغ الذروة من صحة التركيب في العربية ، أن يمتلك زمام مجاز العربية وبلاغاتها الأخر . ثم إن للشعر العربي طابعاً خاصاً به وسمة دالة عليه ، فالفارسي على إجادته اختيار المعاني وإحسانه تزاويق التشبيه وزخارف الاستعارة ، لا يخلص إلى أسلوب عربي لاحب ، قال نقلة الأخبار إن الإمام أبا العباس أحمد بن الحسن الناصر لدين الله العباسي أسد بني العباس وسياسيهم الأعظم وأديبهم البارع ومحدثهم الماهر لما سمع قول تاج الدين الطرقي الاصفهاني :

إذا ما رآني العاذلون وغردت حمائم دوح أيقظتها النسائم(٤)
يقولون مجنون جفته سلاسل وممسوس حيّ فارقته التمائم

تعجب من ذلك وقال : « ما ظننت أن أحداً من العجم يصل كلامه إلى هذا الحد » وبعث إليه بخلعة(١) . وهذا الخبر يدلنا أيضاً على ما بلغه الإمام الناصر لدين الله من إدراك لمحاسن الأدب العربي ومعرفة لدقائقه ولطائفه وبارعه ورائعه .

وقال أحد المؤرخين العراقيين : « سمعت أبا عبد الله محمد بن يوسف الأرجاني ببغداد يقول : « قال لي إنسان بسمرقند — وقد جرى ذكر أهل العراق ولطافة طباعهم ورقة ألفاظهم — كفى أهل العراق أن منهم من يقول :

تنبّهي يا عَذَبات الرند كم ذا الكرى اهبت نسيم نجد ؟

وكرر البيت تعجباً من لطافته وعذوبة لفظه ، وهو لابن المعلم [أبي الغنائم محمد بن علي بن فارس الواسطي المرني المتوفى سنة ٥٩٢] مبدأ قصيدة مدح بها إنساناً يعرف بهندي ، بنى القصيدة على هذه القافية لأجل اسمه(٢) .

ولقد صدق هذا السمرقندي فان هذا البيت من قصيدة تجلّت فيها محاسن الصناعة وبانت عليها بوارق البراعة ، وهي في مدح الأمير هندي الكردي أحد الأمراء في أواسط القرن السادس للهجرة ، كان في خدمة الإمام المقتفي لأمر الله الخليفة العباسي مجدد دولة بني العباس ، وقال في ديباجتها الغزلية :

تنبهي يا عذبات الرند كم ذا الكرى هبت نسيم نجد ؟
مر على الروض وجاء سحَراً يسحب بردَيْ أرج وبرد
حتى إذا عانقتُ منه نفحة عاد سموماً والغرامُ يعدي
واعجباً منّيَ أستشفي الصبا وما تزيد النار غير وقد
أعلل القلب ببان رامة وهل ينوب غصُن عن قد ؟
وأسأل الربعَ ومَن لي لو وعى رجع كلام أو سخا برد
أأقتضي النوح حمامات اللوى هيهات ماعند اللوى ماعندي؟
كم بين خال وجوٍ وساهر وراقد وكاتم ومبدي ؟
ما ضر من لم يسمحوا بزورة لو سمحت طيوفهم بوعد ؟
بانوا فلا دار العقيق دارهم دار ولا عهد الحمى بعهد
آه من البعد ولو رفقتم ما ضرني تأوهي للبعد
عشق لا ما عشقته عذرة قبلي وبي يستن بي من بعدي
نحلة وقوفنا بطلل وضلة تسآلنا لصلد
إن نكب الغيث الحمى وضن أن ينير في عراصها ويسدي

(١) محلة الكرخ في زمن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ من المحلات المستقلة التي هي كالمدينة ، وكانت في الجنوب الغربي من المشهد المعروف بمشهد النطقة وهذا المشهد لا يزال قائماً بين الكاظمية وبغداد ، أما أرض الكرخ فصحراء

(٢) ياقوت الحموي في « معجم الأدباء ج ٥ ص ١٢٤ طبعة مرجليوس الأولى »

(٣) تتمة اليتيمة ج ١ ص ٦٣

(٤) الظاهر أن النسائم جمع نسيم كأفيل وأفائل وتبيع وتبائع وضمير وضمائر ونظير ونظائر

(١) محيي الدين عبد القادر العيدروسي في النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٢٩٣ — ٤

(٢) أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي في « ذيل تاريخ بغداد » من الكتب الخطية

سقته عيني ورمته أضلعي بوابل وبارق ورعد
طرف تجف المزن وهووا كف كأنما جفناه كف هندي[1]

وأقر أيضاً بجمال الأسلوب العراقي في الأدب أدباء مشاهير من أهل الأندلس ، فان ابن جبير الرحالة الأديب المشهور ، المتقدم الذكر حضر — أيام دخوله بغداد في سنة ٥٨٠ - مجلس (أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي) فقال :

« وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نير القبس ، عراقي النفس ، في الخليفة الناصر أوله :

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل
يا كلمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل

فرغ من إنشاده وقد هز المجلس طرباً[2] » . فقوله إن ذلك الشعر عراقي النفس يدل على اشتهار النفس الشعري العراقي في الأندلس فضلا عن المشرق . وهذه الخصائص الأدبية واللطائف الشعرية . لم تكن مقصورة على الخاصة من العراقيين دون العامة ، ألا ترى أحد المؤرخين يقول : « ومن خالط أهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ؛ ومن تأمل لطافة العوام بها في مجونهم وحديثهم وإشاراتهم التي لا يفهمها أكثر علماء غيرها من البلاد حتى أن فيهم من يقول الشعر المسمى (كان وكان) فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعر تبين له فضلهم ولطافة أخلاقهم[3] » .

وإن من غير العراقيين من اعترف بهذه الخصائص الأدبية وأسجل بها على نفسه كما يسجل القاضي بالحكم ويثبته في المحضر ، وهناك لا تجد أنبل من هـذه النفوس العلية والطباع المرضية التي من عادتها الإقرار بالحقيقة والإذعان للواقع مع ما فيه من هضم الجبلة وزم النفس عن مرامها وتواضع هو في مقياس الفضائل ترفع ، ومن أولئك النبلاء الأدباء أبو سعد علي[4] ابن

(١) عماد الدين الأصفهاني في جريدة القصر وجريدة العصر (من الكتب الخطية)
(٢) تقييد السياحة لابن جبير ص ١٩٤ طبعة مصر
(٣) كمال الدين ابن الفوطي في تلخيص مناقب بغداد ص ٣١
(٤) ورد في « تاريخ بغداد للخطيب البغدادي » ج ١ ص ٥٠٢ » بصورة « محمد بن علي بن محمد بن خلف » وليس بصحيح ، فان الثعالبي ذكره هكذا في اليتيمة « ٣ : ٢٧٥ » من طبعة الصاوي ونقل السبكي « فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ » ترجمته من كتب تاريخ بغداد مع أسماء « علي بن محمد » وذكر أن وفاته كانت سنة ٤١٤ وذكره بهذه الصورة ياقوت الحموي في مادة « سابر خواست » من معجم البلدان

محمد بن خلف الهمذاني ؛ وفي ذلك قال :

فدًى لك يا بغـداد كل مدينة
من الأرض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها
وسيرت خيـلي بينهـا وركابيا
فلم أر فيها مثل بغـداد منزلاً ولم أر فيها مثـل دجلة واديا
ولا مثـل أهليها أرق شمائلاً وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل: لو كان ودك صادقاً لبغداد لم ترحل فكان جوابيا:
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا[1]

روى هذه الأبيات أبو بكر الخطيب عن أبي القاسم علي بن المحسن القاضي التنوخي ورواها التنوخي عن ناظمهـا سماعاً بحضوره وإنشاداً من فيـه ، ومن طريف ما نذكر هنا أن أبا حيان التوحيدي لما مدح الوزير أبا عبد الله بن سعدان العارض ، ذكر له أنه ممن يعتد به في مقامات المساجلة ومواطن المفاخرة وأنه يكايد به أصحابه ببغداد ويقول لهم : هل كان في حسبانكم أن يطلع عليكم من المشرق من يزيد ظرفه على ظرفكم ، ويمد بعلمه عن علمكم ، ويبرز هذا التبريز في كل شيء تفخرون به على غيركم ؟ »[2]

وآخر ما ننقل للقارىء شهادة أديب كبير وعلامة خطير ومنشىء بارع وشاعر مجيد وكاتب مجود ومؤرخ ذي يد باسطة في تحرير التراجم والأخبار ، وهو عماد الدين الاصفهاني فانه قال في ترجمة أبي الفتح محمد بن محمد[3] بن عمر الأديب الكاتب : « لم يكن في عصرنا أكتب منه ، تبحر في أدبه ، وتطرف في مذهبه ... وله شعر كثير وديوان كبير ، ولم يخلف له نظيراً ... وعلى نظمه طلاوة بغدادية وحلاوة عراقية فنه .

قام بالعذر في هواك العذار فسلوي عن حسن وجهك عار
أدلال هذا التعنت أم أنـ ت كما قيل خائن غدار ؟

بغداد مصطفى جواد

(١) الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٢ » .
(٢) أبو حيان في « الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ١٨٨ »
(٣) ولد سنة « ٤٨٤ » وتوفي سنة « ٥٥٧ » .

المناجاة الثالثة

إلى أخي بفرنســـــا

للأستاذ محمد برهــام

من ذا يزف تحرقي وحنيني   لأخ يعيش على ضفاف السين؟

كنا على حذر وكان بمأمن   ما بالنا وسط الليالي الجون ؟

يارا كباً متن الصعاب إلى العلا   وتكاد تقتلني عليــه ظنوني

ما قيــل إن على فرنسا غارة   إلا بدوت بخفقة المجنــون

عام يقضَّى في انتظار رســالة   وتفض كل رسالة تأتيني

ليــد الرقابة أن تفض غلافها   أو أن تحيط بسرها المكنون

لـكن مطالعتي بهــا مبتورة   من فرط ما بي من هوى يشجيني

فذر الرسالة يا رقيب سليمة   وإذا أبيت فبعضها يكفيني

لله أمٌّ وهي في محرابهــــا   بين الخشــوع وأنة المحزون

تدعو إلهك أن يعيدك سالما   لتقر شــتى أنفس وعيون

وحنت على كل الطيور بزادها   ربمــا أتت بالطائر الميمون

يا أمنا رُغمي تبلبــلِ خاطر   غالٍ على عمر الزمان مصون

ها قد تحققت الأماني أبشرى   فلقد لمحت النصر فوق جبين

(ياسين) لو بك أي جنب آمن   قلت ارعه في الجانب المأمون

ما كان مهــداً للجمال ومرتعا   وتموج جنته بحــور عين

قد صيرته الحادثات جهنما   أبوابها فتحت لــكل قطين

أأخي العزيز، الصبر جنة حازم   فاشدد يمينك صابراً بيميني

فلقد يعــود إلى الحياة نعيمها   وتعود دنيا من دَدٍ وسكون

ستقول كيف أبي وأين تحية   منه لمضطرب المكان رهين؟

إني لأشفق أن أجيب فأعفني   إن الســؤال جوابه يعميني !

أسلمتَ أمر أخي لرحمة ربه   فإلى اللقاء ، ويارعاية صوني !

محمد برهام

منـــاجاة . . .

للأديب ابراهيم محمد نجا

طواك الـكرى في حنان ولينْ   فيا ليت شعرى بما تحلمينْ ؟

بحب يبـــوح به مغرم   يغنِّيك لحن الجوى والحنين

وأفق تحوم عليـــه الظلالُ   وقد غُيِّبت شمسه منــذ حين

وعش يحلــق فوق الغمام   تحوم عليه منى العاشــقين

هواك جرى في دمى سره   وراحت تغازل قلبي رؤاهْ

وذكراك تشرق في خاطرى   كفجر ينبِّه روح الحيــاه

ويهتز قلبـــيَ إذا ما رآكِ   كأنك لحن وقلبي صداه

فأنسى الزمانَ كأني نبيٌّ   يشارف بالروح نور الإله

نظمت حيـــاتي وأهديتها   إليك قصيداً كنَوْر الربيعْ

وقدمت عمــريَ في طاقة   من الزهر روَّيتها بالدموع

وأودعت حبيَ في غُنــوة   كأن صــداها عبير يضوع

فرنَّت بها في السهول الرياحُ   وغنت بها الطير بين الربوع

بدا الفجر نشوان بين السهولِ   يغنى فيرقص روح الوجــودْ

ويضفي السنا فوق تلك الربى   ويلقى الندى فوق تلك الورود

فأحسست نفسى تفك الإسار   وأحسست قلبي يحل القيود

وعاد كما كان روحى طليقاً   يريد إلى عشــه أن يعود

تعالى لنخطر فوق السفوحِ   مع الطير حتى يحين المساءْ

أغنيك أشجى أغاني الغرامِ   وما هيَّج الشوق مثل الغناء

وســيان أن يتجلى الربيعُ   على الـكون، أو يتراءى الشتاء

فــكل نهار — إذا ضمَّنا —   صفاء ، وكل الليــالى ضياء

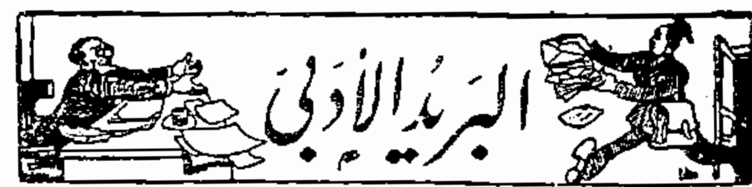
تعــالى نعش في ثنــايا المنى   تعالى نعش في حنايا الخيالْ

لنا في الهوى جوسق في السماء   وعشٌّ هنالك فوق الجبال

نعيش فريدين بين الضيــاء   ونحيا وحيــدين بين الظلال

فــكل الأغاني أغاني غرامٍ   وكل الليالى ليــالى وصال

ابراهيم محمد نجا



١ — سالزكي مبارك ولكتاب الله

عاد الدكتور زكي مبارك يعرض للقرآن الكريم بسوء الرأى كما فعل فى مقاله الأخير فى « الرسالة » . وهو لم يعرض للقرآن مرة إلا افتضح ، ولكنه فى هذه المرة قتل نفسه : قتلها بالهواء الذى يملأ العالم ، وبالزلطة التى كانت دومة لأن شكلها كالدومة ، والزلطة التى كانت خيارة لأن شكلها كالخيارة ، وبحياة الزلطتين لأنها من دومة وخيارة حيتين ، وبحياة الجماد كله قياساً على حياة الزلطتين الخ .

فما الطفل الذي يضرب به المثل فى بعض كتب التربية لأنه علل بياض اللبن ببياض أول بقرة رآها تحلب بأقبح جهلا ولا أضعف عقلا من هذا الذى زعم أن الزلط حى لأن بعضه يشبه شكله شكل الدوم والخيار .

ونعوذ بالله من أن نعرض لكتابه سبحانه بما لا يرضى فينتقم منا بنا كما انتقم من زكى مبارك بزكي مبارك . فما كان أحد يظن أن هذا الرجل إذا خلى بينه وبين قلمه يتخذ من قلمه حبلا يشنق به نفسه كما قد فعل على صفحات الرسالة فى مقاله الأخير .

٢ — الى الاستاذ ابراهيم زكي الدين بدوى

تحيتى الخالصة إلى الأســـتاذ على غير سابق معرفة به ، واعتذارى اليه وإلى قراء الرسالة من أنى لم أجب على كلمته الفاضلة التى نقد بها كلمتى الرابعة فى فساد الطريقة فى كتاب النثر الفنى . وأكثر عذرى أنى أردت أن أرجع إلى قديم مخطوط إعجاز القرآن للباقلانى لعلى أجد فيه حكما بين رأيى ورأى الأستاذ أدرجه فى جوابى . فكان الأمل فى الوقوف على المخطوط يتجدد كل أسبوع من غير أن يتحقق فى أسبوع .

أما وقد طال الانتظار فسأكتب ما عندى من جواب غير راجع إلى ما فى المخطوطات حتى تتيسر ، والموعد الأسبوع الآتى إن شاء الله

محمد احمد الغمراوى

الاقوال وأصحاب الاقوال

فى العدد الأخير من مجلة الرسالة يذكر الأستاذ منصور جاب الله أنى أفتخر بأنني القائل « المجد كالمال ، فيه حرام وحلال » ، ثم يذكر أنى نسبت هذه الكلمة الطيبة الى الشيخ يوسف الدجوى فى بعض المقالات التى كنت أرسلها إلى جريدة البلاغ أيام إقامتى فى باريس ، ويرجو أن أجلو له وجه الحقيقة حتى لا يقع فى الاضطراب بين الأقوال وأصحاب الأقوال

وأقول بعبارة صريحة إن هـــذه الكلمة الطيبة هي كلمة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوى ، وقد تلقيتها عنه فى معرض النصح يوم رآنى أجادل خصومى بعنف وأنا أدفع عدوانهم على الآراء التى دونتها فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى »

وقد انتفعت بهذه الكلمة الطيبة فجعلتها شعارى فى الجهاد العلمى ، بحيث صرت أومن بدون وعى بأنها من كلامى ، لأنها اتصلت أوثق الاتصال بروحى وعقلى ، ولو كان الشيخ الدجوى يخطر فى بالى عند الافتخار بهذه الكلمة الطيبة لأسندتها اليه مفتخراً بأنى كنت تلميذه فيما سلف من أيامى

ثم أقول إنى قرأت للأستاذ منصور جاب الله مقالات ظفرت بإعجابى ، ولكن مقاله الوجيز فى مجلة الرسالة فاق تلك المقالات ، لأنه أتاح لى فرصة ذهبية ، هى فرصة التنويه بمكانة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوى ، أطال الله فى حياته وأسبغ عليه نعمة العافية

أما بعد فقد كانت النية أن أكتب لمجلة الرسالة مقالاً أفصل فيه ما وقع بينى وبين هذا الشيخ الجليل من خلاف كان السبب فى أن أحرم من صحبته عدداً من السنين ، وهو خلاف طريف ، لأنه يتصل بآراء لو نشرت لكانت من أجمل الميادين التى تصطرع فيها العقول

وأعترف بأن حجة الشيخ أقوى من حجتى ، لأنه أصدق منى ، فأنا مجادل ، وهو مؤمن ، والإيمان أقوى من الجدال

أنا أحب أن ألقى الشيخ لأستأذنه فى نشر ما دار بينى وبينه من مصاولات ، ولكن أين الوقت ، وبين دارى وداره أميال وأميال ؟

لم يبق إلا أن أقول إن هنالك تاريخاً مجهولاً ، وهو أن

مشيخة الأزهر دعت أستاذنا الشيخ الدجوى إلى تأليف كتاب يشرح أصول الإسلام للأقطار الأمريكية ، فألف الكتاب ، ولكنه لم يجد المترجمين

لن نعرف قيمة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوى إلا بالرجوع إلى نضاله الديني في البلبلة التي أرجبتها الحرب الماضية

على أستاذى ألف تحية من التلميذ الذى يحفظ الجميل .

زكى مبارك

إلى الناقد سيد قطب

لاحظت في سلسلة مقالاتك النقدية عن « عالم القصة » أنك تكرر في كثير منها قولك إنك لا تعرف — ولم تر — شخوص أغلب من تتحدث عنهم . ويبدو هذا غريباً في نظرى — فالقصة — في هذا اللون بالذات من ألوان الأدب — لاشك أن لشخصية الكاتب وحياته الأثر القوى في إنتاجها — ومن قرأ كتاب ديهامل « دفاع عن الأدب » الذى أهداه الدكتور مندور إلى المكتبة العربية — يذكر أن ديهامل عرف أغلب — إن لم يكن كل — من تعرض لذكره أو نقده في كتابه الحافل ، من معاصريه من الكتاب أو القصصيين .

وأنت — لاشك — قد خطوت خطوة كبيرة في خدمة رسالة النقد المنوبة في هذا البلد فلم لا تحاول أن تخرج من عزلتك وتتعرف إلى من تكتب عنهم ، بل وتكون معهم صداقات روحية ، فإذا أمسكت بقلمك بعد ذلك لتتحدث عن إنتاج لهم ، جمعت بين الصورة والأصل ؟ كما أنك ستخدم تاريخ الأدب المعاصر فتترك للأجيال المقبلة صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب المعاصرين . والسلام عليكم ورحمة الله

فوزى سليمان

إلى الأستاذ دريني خشبة

لقد أمضيت وقتاً غير قليل من أيامى الماضية في تدبر أشعار أبي تمام ، وجمع شتاتها ، إذ احتلت من نفسى المكان المرموق برغم ما كان يستوقفني أحياناً عند ما تتحرى الذاكرة فتعرض صوراً من أشعار بعض الشعراء القدامى مشابهة لبعض صور أبي تمام كما جاء في فصولك التي تقدمها إلينا اليوم بأسلوبك العذب ، وعلى طريقتك المثلى

ولا يسعني — وأنا الحريص دائماً على استيعاب كل ما يكتبه الأستاذ الفاضل — إلا أن أعرض عليه ما يأتي :

جاء في مقالك الأخير ، أن أبا تمام نسخ قوله :

وأحسنُ من نَوْرٍ تفتحه الصَّبا ... بياض العطايا في سواد المطالب

عن قول الأحطل :

رأين بياضاً في سوادٍ كأنه ... بياض العطايا في سواد المطالب

فذكرتُ ما قاله ابن الأثير في الجزء الأول من المثل السائر ص ٥٦ في الحكمة التي هي ضالة المؤمن : « ويحكى عن أبي تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التي أولها : على مثلها من أربعٍ وملاعب انتهى منها إلى قوله :

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل ... كسَتْه يدُ المأمولِ حلة خائب

ثم قال : وأحسنَ من نَوْرٍ يفتحه الصَّبا

ووقف عند صدر هذا البيت يردّده ، وإذا بسائل على الباب وهو يقول : من بياض عطايا كم في سواد مطالبنا ، فقال أبو تمام :

بياض العطايا في سواد المطالب

فأتم صدر البيت الذى كان يردده من كلام السائل »

أورد ذلك بعد ما قرر « أنه يجب على المتصدّى للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس في محاوراتهم ؛ فإنه لا يعدم مما يسمعه منهم حِكماً كثيرة ، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه » . وعلى ذلك لا يكون عمل أبي تمام هذا من باب النسخ ، وإنما يكون من باب الأخذ بالحكمة التي هي ضالة المؤمن ، وقد أوجب ابن الأثير الأخذ بها كما جاء في كلامه ، كما أن هذا لا يتفق وطريقة النسخ عند ابن الأثير .

وبعد ، فلست أدرى أى المصدرين لبيت أبي تمام خليق بالاعتبار ، فإنه تختلف درجة البيت بقدر ما بين هذين المصدرين .

أرجو إيضاح ما ذكرت أيها الأستاذ الفاضل ، أيدك الله وألهمك التوفيق .

محمد العراقى